



ظل أبداع المرأة العربية طوال القرون الماضية متوشحاً بالسواد، ومجلاً للدموع والدماء، منذ أن وقفت نالخة نبي سليم، سيدة الشعراء، تنسج ثوباً في سواق عكاظ، وكانها رسمت حول الشعر النسائي دائرة من الدموع والآثين والأحزان، فلم يعد الشعر عندها إلا الزينة، وصارت تسأل: غرضه... ولم نعرف على مر القرون من نبات جسدها من كسرت تلك الطوق أو مدت أظافرهما لتمزق جدار الشريقة الانتوية المحاصرة بطوفان الدموع والآلم، والفقدان واللوعة إلا ما ندر، فالمرأة عندها - كما تقول نوال مهني - محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أي منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، للدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بل والبحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها!!



«نوال مهني» شاعرة الوادي..

منه النبائية إلى الفضيلة المطلقة

الأنثى بقيمة البطولة والشجاعة والقداء والصبر، بل المشاركة في سائر ميادين الحياة.

ولعل الشاعرة نوال مهني، من أولئك الشاعرات اللاتي شاركن في الحياة الأدبية بإسهامات بارزة ومتنوعة، فقدمت أعمالاً تجاوبت مع معطيات واقع الأمة وحمومها.



محمد عبد الشافي - مصر

ولكن، أخيراً أفلح الشعر النسائي في الخروج من قفص الحريم المخملي، فإذا به يتفاعل مع ما يموج به عالمنا من صراع دأب، ومواجهات عنيفة، وإذا به يتدفق هادراً صاحباً، وإذا به يندفع إلى خطوط المواجهة شاهداً ومؤرخاً ومترجماً لإحساس

العروضية الطويلة؛ حتى يأخذ الشاعر براحه وارتياحه، ولكن شاعرتنا في تحدٍ ربما لم تقصد إليه قصداً، تصوغها في البحور القصيرة التي تصلح لغير هذا الغرض، فتصيب توفيقاً ربما لم يكن ليتحقق لها ولا لغيرها إلا من خلال ملكة سخية معطاء، وامتلاك لناصرية القريض ونصاعة البيان.

وفي زحام الحياة، وتوالي الأحداث، وفي ظل غفلة الأمة بفعل عوامل التخدير والتغيب والتذويب الحضاري، لم تتسّ الشاعر أن في «الشيشان» لها إخوة في العقيدة، يواجهون حرب إبادة من طواغيت الكفر الذين

السلبية التي أرقت الضمير العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن من الزمان، فشاعرتنا تدعوها إلى مزيد من الصبر والصمود، حتى يتحقق الوعد، ويظلها وعد السماء، أو كما تقول الشاعرة:

**فلسطين صبراً هو الله أكبر
يذلّ ويمحو ظلوماً تجبر
لنا الوعد يسحق أحقاد خبير
وسوف يظلك وعد السماء
فلسطين صبراً لهذا البلاء**

الأمر العجيب في شعرها السياسي والملحمي أنها تصور فيه عوائق وقيوداً، وثورة وتمرداً وتحقيق نصر واقتناص فوز، وغيرها من المعاني التي يصوغها الشعراء في نطاق البحور

فرسمت لوحات بديعة في الشعر والنثر والمقال والمسرحية، عرضت من خلالها صورة حية وواقعية لما أصاب الأمة من تصدعات ونكبات ونوازل في عصر الهزائم والاستلاب الحضاري والتمزق السياسي الراهن، وبذلك ارتفعت برسالة الإبداع النسوي عن نمطه التقليدي الذي عاش قروناً في القمقم الأنثوي منكفئاً ومنعزلاً وملتبساً حول الهموم والمشاغل الذاتية الضيقة؛ إلى استشراف مستقبل أفضل ومحاولة المشاركة في صناعته وترسم خطاه.

لقد شاركت «شاعرة الوادي» أخواتها الشاعرات العربيات في تشخيص أدواء الأمة، واستنهاض عزائمها، وتحريضها طلباً للثأر ممن نالوا من كرامتها، واستباحوا حرماها ومقدساتها، ومن هؤلاء الشاعرات: فدوى طوقان، وعليه الجعّار، وسعيدة خاطر، وإنصاف بخاري، ومباركة بنت البراء، وثرى العسيلي، وفاطمة عبد الحق، وغيرهن.

وقد كتبت شاعرتنا عدداً وافراً من القصائد المزوجة بالدماء، المفسولة بالدموع، في أثناء استعراضها لواقع الأمة الجريح من البلقان إلى الصومال، ومن الشيشان المنسية إلى بغداد الأسيرة، إلى فلسطين





يصبون عليهم أطنان المتفجرات والقنابل صبا، فتدعوهم إلى الاعتصام بالإيمان الذي هو وحده كفيل بسحق جحافل الإلحاد، فتقول:

مهما تمادى الظلم والظفیان
لا تترکي الميدان يا شيشان
بل صابري عند الجهاد وأبشري
لا لن يقيم بأرضك العدوان
واستعصمي بالصبر في يوم الوغى
فمن الشدائد ينضج الإنسان
كل القنابل لن تميت عقيدة
دستورها وشعارها القرآن
هذي الجحافل رغم كل ضلالها

فلسوف يسحق رأسها الإيمان
إن الشاعرة في هذا العصر،
أينما تول وجهها، لا ترسوى أشلاء
تتمزق، ودماء تتدفق، ومنازل
تتحرق، ومساجد تهدم، وحرمان
تنتهك، وترى إخوانها في العقيدة
ما بين جريح وأسير وقتيل، ولا
ناصر لهم في ظل العالم المستكبر
الذي ضللته أبواق الإعلام والدعاية
الصهيونية، فالحل من وجهة نظر
الشاعرة الإسلامية نوال مهني هو
دعوة المسلمين جميعاً إلى الجهاد
المقدس، الذي لا تسترد الأوطان
بدونه:

لا ثم يعد للصمت قط موضع
ضاق الخناق وضاعت الأوطان
غير الجهاد فليس يجدي منطق
فالكفر صال وتعبد الأوثان

بل كيف نرضى بالسكوت مواقفاً
وشريعة الإسلام كيف تهان
أجدادنا أصل الجهاد وأهله
يروى التراث وتشهد الأزمان
يدعون جند الحق هيا انفروا
كي يسقط الإرهاب والظفیان
وهكذا رأينا الشاعرة كسائر
شعراء الأمة الأصلاء، تصوب
قصائدها، وتوجه إبداعاتها
للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها،
أماً في استنهاضها من غفلتها،
حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها
الحضارية المنوطة بها. وقد
تأثرت شاعرتنا بمن سبقوها من
المبدعين الكبار الذين نافحوا
عن قضايا الإسلام والذود عن
حياضه، كأمر الشعراء أحمد
شوقي.. الذي بلغ افتتانها به حد
كبيراً، فتأثرت به، وسارت على
دربه، ووفاء منها، نراها تخاطبه
في ذكراه، وتلقبه بـ«دولة الشعر»
وتعزو إليه فضل البيان الذي
ارتشف منه القريب والبعيد:
سلاماً لشوقي أمير القوافي
وكرمة هاني بها العطر صال
فليس مثلك جد قرين
وفضلك في الشعر ليس بخاف
فكنت النشيد إذا الشرق غنى
وكنت العزاء لشعب يعاني
وكنت الحنين لأرض الخلود
وكنت السفير لأحلى المغاني
فيا دولة الشعر باهي بشوقي
وحيا أميرك في كل آن
إن شاعرة نوال مهني جزء لا
يتجزأ من حياتها، وصورة أصيلة
مضيئة من شخصيتها، وترجمان

وكما وقف البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وسواهم من شعراء الوطنية الكبار أمام «النيل» متدلّين به، شاكين له ما يعتصرهم من هموم وآلام، كذلك وقفت الشاعرة أمام النيل، مستلهمة من عبقريته وفضله وخيره وبركاته التي عمّت الوادي بأسره، والتي زيّنت الأرض وأقامت حوله حضارة إنسانية؛ شاكراً فضل الله تعالى، ومدركة أنه يجري من عنده سبحانه، دونما حيرة واضطراب، كما حدث مع «شاعر الطلاسم»، فقالت:

كم فاض النيل بوادينا
كم شاد النهر بماضينا

وبرغم دعاوى القوم ومزاعمهم بأن مملكة الشعر تهاوت ودالت دولتها، وأن فن الرواية أضحى ديوان العرب، إلا أن شاعرتنا لا تشاطرهم ذلك الرأي، مؤكدة أن «الشعر وعاء عميق متنوع يحوي القصيدة والموشحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التي تحوي بداخلها القصة، بل إن بيت الشعر الواحد يحوي من الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل» وقالت في ذلك أيضاً:

الشعر في طبع العرب
رمز النجاة والأدب
ديوانهم وسجلهم
فيه الأصالة والطرب
وفصاحة نسبت لهم
أكرم به هذا النسب

صادق لأحاسيسها ومشاعرها، فهي تحيا بالشعر الذي يعينها على الصبر على نوائب الزمن وعوائده، ويمنحها الأمل في الحياة، فتطلق له خيالها، أو كما تقول: «إن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات، التي لو كتبها الإنسان لكانت كفيلاً بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التآسي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر؛ لأنني أؤمن برسالة الأدب في الحياة عامة، وأؤمن كذلك برسالة الشعر ودوره في تغيير المجتمع إلى الأفضل، أو الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهو يحقّر الهمم، وينقي النفوس ويزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا، ويساعد على نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة، لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويشرح فضائلها» وراحت شاعرتنا تعارض قصيدة «الشعر والحياة» للشاعر الكبير محمد انتهامي، قائلة:

هو الإبداع توحيه حياة
تبوح بسرّه حيناً وتكني
فكيف يحيط بالفنان سور؟
وفي أعماقه حرّ يغني
فلولا الفن ما ذقنا جمالاً
ولولا الحب ما عشنا لبنني





والشطّ تُباهي خضرته
كَي يخطب ودّ رواينا
هالنيل رحيق مختوم
يعطينا خصباً لا طينا
هبة الرحمن إلى مصر

هبة الرحمن لوادينا
هذا، وقد كتبت شاعرتنا
في جميع أغراض الشعر وفنونه
سواء في الوصف أو المدح أو الفخر
أو الرثاء... إلّا الهجاء الذي لم
تكتب فيه شطراً واحداً؛ لأنّ قلب
الشاعرة الإسلامية مملوء بالحب
والعطف والحنان ومفعم بالرحمة

والإيمان، فلم يجد الهجاء إلى
لسانها سبيلاً، وليس من عجب
أن يغلب فن الوصف بالذات على
إبداعها، فتوليه اهتماماً بالغاً،
وتجيد فيه أيما إجادة، ذلك
الفن الذي كان النقاد القدامى
يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب
النبوغ إلّا إذا أجاد شعر الوصف
بعامة، ووصف الطبيعة بخاصة،
وقد أجاد في هذا اللون أبو
تمام والبحري وابن الرومي
والصنوبري والمعتمد بن عباد...
وغيرهم، فسارت الشاعرة على
درب هؤلاء الرواد... فلنستمع
إليها في رائعتها «دعوة للأمل»:

إن رأيت الروض يندوي
لا تقف خوفاً ويأساً
أو رأيت الزهر يفو
سوف تزدان الروابي

البيان لسحراً، وإنّ من الشعر
لحكمة!

ونختم حديثنا هذا، ونحن
رافعين أكف الضراعة ومُبتَهلين
إلى الخالق البارئ الحبيب -
سبحانه وتعالى- نور الوجود،
المفوّض إليه الأمر كله، ومُردّدين
مع الشاعرة الإسلامية الكبيرة
نوال مهني:

يارب أشكو ضارعا
أنت المجيب ولا سواك
أنت الغفور لتائب
أنت السميع لمن دعاك
أمري إليك مفوض
من ذاك يعصم من قضائك
نور الوجود بكوننا
لهبات فيض من سناك
أنت الحبيب ودائماً
القلب يخفق من هوائك ■

ورقيق الفصن يهوي
حين يكسو الروض عُشب
أو سمعت النهر يشكو
وتعود الوُزْق تشدو
* * *

لابساً ثوب الفقير
فغداً يأتي الربيع
ممسكاً فيه العبير
في محياها البديع
من جفاف يستجير
نافضاً عنه الصقيع
بأكياً فيه الخريز
في حمى الزهر الوديع
والحق، أننا في حاجة إلى
مزيد من ذاك الشعر العذب
الجميل، الموشح بالحلّ البيانية،
والمطرز بالصور البديعة، والقيم
والمعاني الإنسانية النبيلة، الذي
يستحق الوصف الشريف «إنّ من